

وما سواها (325)



د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

أفكار وإبتكار!! (2)

خامسا: الأفكار والكلام!!

هل ثمة علاقة ما بين الأفكار والكلام؟

وهل حقا أن كل ما ن فكر به يمكننا أن نضعه في كلمات؟

وهل يمكن الإستدلال على التفكير من الكلام؟

هذه أسئلة تبدو قديمة ومكررة وربما من البديهيات , لكننا عندما نقوم بجولة في مراكز الكلام الحسية والحركية , وعلاقتها التواصلية مع مراكز الدماغ الأخرى , يتبين أن لا بد من تمام العلاقة ما بين العديد من مراكز الدماغ , ومراكز الكلام لكي تصل إلى نسبة تفاعلية ذات قيمة توافقية ما بين التفكير والكلام. فمركز (ورنيكا) للكلام في الفص الصدغي الأيسر يستجمع الطاقات والمعاني والإشارات وينقلها إلى مركز (بروكا) في الفص الأمامي الأيسر , لكي يتم التعبير عنها بالكلام , وربما هناك مركزا آخر للتعبير عما كرره (من التكرير) مركز ورنিকা , بالكتابة أو الحركة أو الإشارة والرسم , وغيرها من التعبيرات المتعارف عليها.

ويبدو أن مركز بروكا وكأنه مراكز متعددة ومتنوعة ذات إرتباطات مختلفة مع مركز ورنিকা , ووفقا لقوة وسلامة الإرتباطات والتواصلات تتحقق قدرات التعبير المتنوعة.

وقد يصيب هذين المركزين وما بينهما وما حولهما الأضرار , التي تجعل من عملية صنع الكلام ليست سليمة أو ذات نوعية ممتازة , وكلما إزدادت سلامتهما وما بينهما وما حولهما , كلما تحققت قدرات أكثر تميزا للتعبير بالكلام والقلم والحركة.

وكأننا أمام مصنع معقد لإنتاج الكلام وتصنيع ما تشير إليه الأفكار الداخلة في المصنع.

ومن المعروف عندما تصاب منطقة ورنিকা بالضرر , يتكلم المصاب بأسلوب منفلت , ويعجز عن وضع أفكاره في كلمات , ويتحول إلى جهاز نطق مقطوع عن مركز التحكم والسيطرة والتوجيه.

وكذلك عندما تصاب منطقة بروكا فأن المريض يريد أن يقول لكنه يعجز عن الكلام , فتراه ينفجر أمامك بعواطفه ودموعه وهو يعلن عن حبسته الكلامية , أما إذا فقد الإتصال ما بينهما فحدث ولا حرج. لكننا لا زلنا لم ندرس ماذا سيحصل لو أصيبت أجزاء الدماغ الأخرى المرتبطة بهما , والمغذية لهما بالمعلومات اللازمة للكلام الذي نراه يدل على التفكير.

أي ان هناك إضطرابات متنوعة نتيجة لإصابة الدماغ بأضرار تختلف بشدتها وبأبولوجيتها , وهذا يعني أن الكلام تعبير عن سلامة عضوية أو خلل عضوي أصيب به الدماغ , وأدى إلى إنتاج هذا النوع دون غيره من الكلام.

ومن الواضح أن مركز ورنিকা يكون الأساس الذي تتحقق فيه الإرتباطات النحوية واللغوية بقواعدها وأنظمتها الصوتية والإملانية وغيرها , فتؤسس لما نسميه باللغة الأم أو الأولية , التي تدور حولها محاور

هل ثمة علاقة ما بين الأفكار والكلام؟
وهل حقا أن كل ما ن فكر به يمكننا أن نضعه في كلمات؟
وهل يمكن الإستدلال على التفكير من الكلام؟

مركز (ورنيكا) للكلام في الفص الصدغي الأيسر يستجمع الطاقات والمعاني والإشارات وينقلها إلى مركز (بروكا) في الفص الأمامي الأيسر , لكي يتم التعبير عنها بالكلام

ربما هناك مركزا آخر للتعبير عما كرره (من التكرير) مركز ورنিকা , بالكتابة أو الحركة أو الإشارة والرسم , وغيرها من التعبيرات المتعارف عليها.

كأننا أمام مصنع معقد لإنتاج الكلام وتصنيع ما تشير إليه الأفكار الداخلة في المصنع

عندما تصاب منطقة بروكا فأن

المريض يريد أن يقول لكنه يعجز عن الكلام ، فتراه ينفجر أمامك بعواطفه ودموعه وهو يعلن عن حبسته الكلامية

لا زلنا لو ندرس ماذا سيحصل لو أصيبت أجزاء الدماغ الأخرى المرتبطة بهما ، والمغذية لهما بالمعلومات اللازمة للكلام الذي نراه يدل على التفكير

من الواضح أن مركز ورنيكو يكون الأساس الذي تتحقق فيه الارتباطات النحوية واللغوية بقوامعها وأنظمتها الصوتية والإملائية وغيرها ، فتؤسس لما نسميه باللغة الأم أو الأولية ، التي تدور حولها محاور اللغات الثانوية التي يتعلمها الإنسان فيما بعد

أن الكلام الذي نحسبه مقياسا للتفكير يتأثر بالحالة الدماغية وما يجري في الجمجمة من تفاعلات وتأثيرات

العلاقة ما بين الفكرة والكلام ليست ذات مسار واحد ، وإنما هي علاقة متشابكة ومعقدة ، وبسبب هذا التعقيد تجدنا نحاول أن نعرف شيئا لكن أشياء لا تحصى تغيب عنا وتضيق.

أن الدماغ قد صنع ما يمكن الاستعاضة به عن البشر أو العقل ، فقد صنعنا عقولا تكنولوجية

اللغات الثانوية التي يتعلمها الإنسان فيما بعد ، وعندما يحصل إضطراب في أجزاء الدماغ الأخرى كأن يصاب الشخص بالهوس فإنه يعود إلى لغته الأولية ، وينسى لغته الثانوية.

فعلى سبيل المثال: مريض مهاجر يعيش في دولة المهجر لأكثر من أربعين عاما ويتكلم لغتها طيلة تلك الفترة ، وعندما أصيب بنوبة هوس ، أخذ يتكلم لغته الأم فقط ، ويمكن تقدير درجة تعافيه من خلال درجة عودته للتكلم بلغة دولة المهجر .

وهذا يعني أن الكلام الذي نحسبه مقياسا للتفكير يتأثر بالحالة الدماغية وما يجري في الجمجمة من تفاعلات وتأثيرات.

أي أن الكلام لا يمكن أن يكون المقياس الوحيد للتفكير ومنه يكون تقييم التفكير .

فنحن نعيش في عالم يتحرك بخطوات سريعة نحو سبر أغوار الدماغ والوصول لتفسيرات عضوية لكثير مما يدور في أروقتة ودهاليزه التي لا تزال مجهولة.

ويبدو ان الإعتماد على الكلام فقط في تقدير التفكير ومستوياته وآلياته إنما ستكون من الخطوات الأولية ، مثل أية ملاحظة سريرية نحاول أن نفهم من خلالها المرض ، أو نرقب تكرارها مع علامات وأعراض أخرى.

لكن التقدم التقني سيكشف لنا بأن هذه الأعراض ذات أسباب عضوية في مراكز الإتصالات والعصبيات ، وإن الكثير من العوامل تساهم في صناعة الكلام.

فالعلاقة ما بين الفكرة والكلام ليست ذات مسار واحد ، وإنما هي علاقة متشابكة ومعقدة ، وبسبب هذا التعقيد تجدنا نحاول أن نعرف شيئا لكن أشياء لا تحصى تغيب عنا وتضيق.

ويبدو أننا نختلف في نوع التوصلات والتفاعلات العصبية وفقا للظروف التي نعيشها ونمر بها ، فلكل منا آتته الدماغية التي يرى بها ويعبر وينطق ، لكنها ليست الآلة الأرجح والأصوب ، بل آلة عاملة وتؤثرة في الحياة اليومية.

فما يراه أي منا لا يمكن أن يكون مطابقا لرؤية الآخر ، وإنما متفقا مع التفاعلات الحاصلة داخل الجمجمة ومتأثرا بالمتغيرات المتنوعة التي يمكن حصرها.

إن الإقتراب الموضوعي المادي من الدماغ سيساهم في صناعته ، رغم أن البعض يرى أن أجهزة الكمبيوتر ما هي إلا أدمغة إلكترونية تم إختراعها ، وستعوض أدمغتنا التي ستضمحل مع الزمن ونفقد حاجتنا إليها .

وهذا يعني أننا لا نحتاج للتفكير بل أن هذا الجهاز هو الذي يقدر ويحسب ويوجه ويدفعنا بالإتجاه الذي يراه.

وهذا ما يحصل في عالمنا المعاصر ، فالقرارات المصيرية ، هي من صنع الكمبيوتر الذي يُغذى بالمعلومات ويستخدمها لإتخاذ القرار .

وفي هذا العالم المتوافد الإختراعات هل سيكون لتفكيرنا قيمة ولكلامنا معنى؟

إنها تساؤلات وتحديات تواجه الطب النفسي وعلوم النفس ، ذلك أن الدماغ قد صنع ما يمكن الاستعاضة به عن البشر أوالعقل ، فقد صنعنا عقولا تكنولوجية منقوفة على عقولنا البيولوجية ، وأصبح كل شيء في هذا العالم تحت سيطرة وسلطة الجهاز الذي يستنزف معظم وقتنا!!

سادسا: عمارة الأفكار

الحياة عمارة أفكار ، ولبناتها الأساسية أفكار إنسانية ذات قدرات فاعلة وطاقات وثابة ، لتأكيد دورها وإظهار وجودها ومشاركتها في التفاعل مع زمنها .
ولا توجد حياة بلا أفكار ، وعندما يتم منع الأفكار يتحقق قتل الحياة ، أو بناء عمارة الموت.

متفوقة على عقولنا البيولوجية ،
وأصبح كل شيء في هذا العالم
تحت سيطرة وسلطة الجهاز
الذي يستنزف معظم وقتنا!!

الحياة عمارة أفكار ، ولبناتها
الأساسية أفكار إنسانية ذات
قدرة فاعلة وطاقة وثابة .
لتأكيد دورها وإظهار وجودها
ومشاركتها في التفاعل مع زمنها

في تاريخ الشعوب هناك أنظمة
تبني عمارة موت وأخرى تبني
عمارة حياة.

في مجتمعاتنا، قمت الأفكار
على مدى القرن العشرين،
وحرمت الناس من الجد
والإجتهاد لصناعة رموز الأفكار.
وتأكيد مشاركتها في بناء
القاعدة الحضارية المعاصرة
للأجيال

في محنة الإستنتاج الحضاري
المقيم في ديارنا ، تفاعلت
عوامل كثيرة لتمعن بقسوتها
وإتلافها لوجودنا ، حيث كان
لعامل المصالح الإقليمية والعالمية
دور فعال ومدمر

أن الشعوب تكون أكثر إيجابية
وفاعلية في بناء المثل والقيم
الإنسانية النبيلة ، عندما يتمكن
الإنسان فيها من التصريح
بأفكاره والتعبير عن نفسه
بحرية وكرامة.

في هذا الزمن الفياض ، لا
يمكن مواكبة الأحداث والعيش
فيها والكتابة عنها ، لأن سرعتها

وفي تاريخ الشعوب هناك أنظمة تبني عمارة موت وأخرى تبني عمارة حياة.

ويكون الإنجاز الأول بالإستبداد والطغيان والقمع الجائر للرؤى والأفكار وتحويل الأوطان إلى

مستنقعات راكدة تتعفن فيها المخلوقات.

ويتأكد الإنجاز الثاني بأنظمة ديمقراطية ترفل بالحرية والفرص اللازمة لتحقيق التطلعات المتدفقة

والإرادة الحرة ، فتكون الحياة نهر يتدفق وأواجه تتواكب.

وفي مجتمعاتنا، قمت الأفكار على مدى القرن العشرين، وحرمت الناس من الجد والإجتهاد لصناعة رموز

الأفكار، وتأكيد مشاركتها في بناء القاعدة الحضارية المعاصرة للأجيال ، حتى تفتتت الموجودات وتسيّدت

قوانين المستنقع ، وغاب جريان الأنهار وعمّ الجفاف الفكري والروحي والبيئي ليحطم أي سبب للبقاء .

وفي محنة الإستنقاع الحضاري المقيم في ديارنا ، تفاعلت عوامل كثيرة لتمعن بقسوتها وإتلافها

لوجودنا ، حيث كان لعامل المصالح الإقليمية والعالمية دور فعال ومدمر .

فبعد الحرب العالمية الثانية خصوصا ، تم إقامة مشروع الإستقرار العربي الميت ، بمعنى أن يكون

العرب جميعا حالة خاملة لكن مستقرة ، تسمح بأخذ الثروات وتنمية الإتجاهات المطلوبة في المنطقة ،

وفرض الشروط اللازمة لإقامة المشاريع والخطط وإنجاز الأهداف المرسومة.

وظلت الإيرادات الطامعة في وسواس قهري ، من أهم أعراضه وعلاماته ، أن يدوم الحكم الفردي

الإستبدادي، ويمنع الشعب من إطلاق قدراته وأفكاره ، ويكون أرقاما وأشياء معلبة في صناديق الطغاة

والمستبدين ، ليحركونهم وفقا لمقتضيات مصالح الآخرين.

حصل ذلك في الدول العربية التي تحولت إلى أشياء كبيرة ، يمكن توظيفها وفقا لأجندات المصالح

والأهداف ، وكان النفط العامل الأكبر في هذا السلوك ، إضافة إلى المشروع المعروف الذي بدأ في نهاية

النصف الأول من القرن العشرين ، فهذان الثابتان كانا محور القبض على الإرادة العربية ، والخط الأحمر

الذي يصعب تجاوزه أو الإقتراب منه ، لأنهما يمثلان خط الضغط العالي السياسي في المنطقة عموما .

لكن دوران الأيام وتوالي العقود وتراكم المتطلبات ، وضع القوى الكبرى في محنة إقتصادية صعبة

مما اضطرها للإقتراب بمنظار آخر ، ومراجعة أفكارها ومحاولة الخروج من قيد الوسوسة التي أتلقتها

إقتصاديا وأخلاقيا.

وكأن الدنيا تعود إلى بداياتها ، حيث الإنطلاقة الأصوب والأنضج ، لتؤكد بأن لا بد للشعوب أن تعبر

عن أفكارها ، وتبني عمارة وجودها في الحاضر والمستقبل.

فقد أثبتت مسيرة قرن قاهر فتاك ، أن الأمم والشعوب لا يمكن سحقها ، وأن الضغط يولد إنبعاجات

مرعبة ومكلفة جدا ، ولا بد من توفير الأجواء اللازمة لتحقيق الأفكار الإنسانية في الأوطان.

نعم ، لقد أثبتت مسيرة الأوجاع العربية للإرادات الوسواسية ، بأن الشعوب تكون أكثر إيجابية وفاعلية

في بناء المثل والقيم الإنسانية النبيلة ، عندما يتمكن الإنسان فيها من التصريح بأفكاره والتعبير عن نفسه

بحرية وكرامة.

ووفقا لهذا الوعي الجديد ، فإن قوة التعبير إنطلقت بعنفوان وبسرعة كاسحة ، لكن بعض عناصر

المعادلة الوسواسية لا زالت مقهورة بوساوسها ، وغير قادرة إلا على الفعل القهري الذي يوهمها بأنها

ستستريح ويهدأ قلقها وخوفها .

وفي هذا الزمن الفياض ، لا يمكن مواكبة الأحداث والعيش فيها والكتابة عنها ، لأن سرعتها غير

معهودة ومتقدمة على مفردات الإستنقاع والركود.

إنها إنفجار إنساني ثوري نووي لا مثل له في التاريخ.

فالشعوب صارت قنابل متأهبة للإنفجار النووي العظيم.

فهل سيُسمح ببناء عمارة الأفكار العربية ، أم أن إرادة الوسوسة ورعاية المشاريع ستقضي بما ترى!؟

سابعاً: الأفكار بين الواقع والخيال!!

ما أكثر الأفكار المحلقة في فضاءات الخيال , والغارقة في فتازيا الرؤى والتصورات المتخاصمة مع واقع لا تعرفه ولا تتصل به , ومن النادر العثور على أفكار منبثقة من تربة الواقع الذي تتصدى له , فنضع المعالجات الكفيلة بمعافاته وتحريره من الأوزان .

ومسيرة الأمة تخبرنا بأنها , ومنذ بدايات القرن التاسع عشر , قد برز فيها نهضويون ومفكرون ورموز متطلعة إلى إعادة ترميم وجودها , وإستحضار جوهرها الحضاري المنير , ومع توالي العقود وتواكب القرون , لم تصل الأمة إلى مبتغاها , وما إستعادت إرادتها الفكرية والمعرفية المتنوعة . وعندما نتساءل عن أسباب التعثر والإحباط والإنكسار , نكتشف أن العلة في المفكرين أنفسهم , الذين فشلوا في إستحضار الأفكار المتوائمة مع الواقع , والمحركة لمفرداته بإتجاهات ذات قيمة إنجازية معاصرة , ذلك أنهم إنغمسوا بالموضوعات الدينية , وغطسوا في التراث والمعاصرة والتأريخ , والذين تسيدوا في القرن العشرين , عملوا على فرض نظريات الآخرين على الواقع .

فالمتعلمون في الجامعات الأجنبية جاؤونا بمفرضيات ونظريات ومناهج أساتذتهم , الذين تعلموا منهم ومنحهم الدرجات العلمية , وعملوا على تدويخ رؤوس الأجيال بطروحات ما نفعت الأمة .

وتجدنا اليوم نتحرك على ذات السكة التي لا توصل إلى محطة نجاه واحدة , والغريب أن الأجيال لا تعتبر ولا تتعلم من الماضيات مهما تقاست , وأصابت مكانها وزمانها بالوجع .
وها هي الأفكار الخيالية , المنقاطعة مع الواقع تنتشر في الصحف ووسائل الإعلام الأخرى , وتتسابق نحو الصدور بكتب وموسوعات وطروحات , لا قيمة لها سوى إلهاء الأجيال بموضوعات عبثية خالية من الجدوى الحضارية المعاصرة .

فالذي يهيمن على الفضاء المعرفي العربي , إسهاب في الكلام , وإمعان بالهذريات التي تسمى فكرية وفلسفية , وهي بعيدة عن نبضات الحياة الفاعلة فوق التراب , مما تسبب بشروخ واسعة ما بين أبناء الأمة ونخبها , فكل منهما في وادٍ سحيق وبعيد عن الآخر .

فهل لنا أن نتعلم كيف نفكر , ونترجم الأفكار إلى مشاريع حيوية عملية ذات قابلية على التحقق والتطور والتواصل بتلاقح الأفكار , فالتفكير ليس كلاماً مسطوراً , ولا راخ غثيان!!

وهل من علم وإيمان بقيمة الإنسان ودوره الحضاري الفتان!!

وفي الختام علينا أن ندرك بأن الأمة لن تكون وتحقق جوهرها , إذا فقدت القدرة على إنتاج الأفكار العملية , والمهارات الإنجازية اللازمة لتأكيدتها , وتحويلها إلى مفردات فاعلة في مسيرة الأيام .

خير معصودة ومتقدمة على مفردات الإستنتاج والركود

مسيرة الأمة تخبرنا بأنها , ومنذ بدايات القرن التاسع عشر , قد برز فيها نهضويون ومفكرون ورموز متطلعة إلى إعادة ترميم وجودها , وإستحضار جوهرها الحضاري المنير . ومع توالي العقود وتواكب القرون , لم تصل الأمة إلى مبتغاها , وما إستعادت إرادتها الفكرية والمعرفية المتنوعة

أن العلة في المفكرين أنفسهم , الذين فشلوا في إستحضار الأفكار المتوائمة مع الواقع , والمحركة لمفرداته بإتجاهات ذات قيمة إنجازية معاصرة

الذي يهيمن على الفضاء المعرفي العربي , إسهاب في الكلام , وإمعان بالهذريات التي تسمى فكرية وفلسفية , وهي بعيدة عن نبضات الحياة الفاعلة فوق التراب , مما تسبب بشروخ واسعة ما بين أبناء الأمة ونخبها , فكل منهما في وادٍ سحيق وبعيد عن الآخر

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa325-180422.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاماً من الضحى... 19 عاماً من الإنجازات

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>